

دِفَاعُ الأَنْبِيَاءِ عَنْ أَنْفُسِهِم فِيْ القُرْآن الكَرِيْم

-دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ فِيْ ضَوْءِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ-

دكتور

عبدُاللّه بن صَالح الخُضَيْري

الأَسْتَاذُ المُشَارِكُ بكليَّةِ الدَّعْوَةِ وَأُصُوْلِ الدِّيْن
جَامِعَةِ أُمِّ القُرَى






مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية






مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم

دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية وضع الله فيه كل ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه، كما يوضح ذلك قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} الإسراء:٩، ولكنه يحتاج إلى تدبر وتفكر في آياته ومعانيه، حتى يستلهم منه الناس ذلك النفع الدائم المستمر، بحسب قوله تعالى:{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} ص:٢٩، وقوله: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}النحل٤٤.

وإن من المواضيع المهمة التي تحتاج إلى تدبر وتفكر واستخلاص من الكتاب الكريم: المواضيع المنهجية، والتي بمعرفتها يتمكن الإنسان من التعامل السليم مع الناس ومع الحياة عموما.

ومما بيَّنه القرآن الكريم: العداوة التي تعرض لها الأنبياء والرسل، فما من نبي ولا رسول إلا وكان له أعداء أمعنوا في معاداته، ولا شك أن القرآن قد ذكر منهجية الأنبياء والرسل في التعامل مع أعدائهم، مثلما ذكر منهجية تعاملهم مع أتباعهم، وليست الحاجة إلى معرفة التعامل مع الأتباع بأشد من الحاجة إلى معرفة التعامل مع الأعداء؛ ليكون سير المؤمن في كل شؤونه موافقا للمنهج الراشد الذي سدده الله ووفق إليه أنبياءه ورسله – عليهم الصلاة والسلام– وارتضاه لهم.



ومن هنا تأتي أهمية موضوع (دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم) –دراسة موضوعية– كعنوان لهذا البحث، والذي سيعنى بإبراز مفهوم الدفاع وما يتعلق به من مباحث، في ضوء القرآن الكريم.

أهداف البحث:

يهتم البحث بتحقيق الأهداف التالية:

١. التعريف بمفهوم النبي والرسول والفرق بينهما.

٢. التعريف بمفهوم ومعاني دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم.

٣. بيان مميزات دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم من خلال القرآن الكريم.

٤. بيان أسباب وحدود دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم.

تساؤلات البحث:

وفي إطار الأهداف سوف يجيب البحث على التساؤلات التالية:

١. ما هو مفهوم النبي والرسول وما الفرق بينهما ؟

٢. ما مفهوم دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم في القرآن الكريم؟

٣. ما أسباب دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، وما حدود ذلك الدفاع؟

٤. ما المميزات الأساسية لدفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم؟

منهج البحث: قام البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي، ثم التحليلي والاستنباطي. وكان ذلك بصورة مختصرة تناسب طبيعة هذا البحث ، ولهذا اقتصرت على بعض الشواهد التي تفي بالغرض في كل موضع فقط.

خطة البحث: وتتكون من مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: مفاهيم ومحددات دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم

المطلب الأول: مفهوم دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم .

المطلب الثاني: محددات دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم .



المبحث الثاني: المقومات الربانية في دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، وفيه مطلبان:



المطلب الأول: العصمة والتوفيق .

المطلب الثاني: المعجزة والكرامة .

المبحث الثالث: أساليب ووسائل دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم.

المطلب الأول: أساليب دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم.

المطلب الثاني: وسائل دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم.

المبحث الرابع: مميزات دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم.

الخاتمة، وفيها: أهم النتائج والتوصيات.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المبحث الأول: مفاهيم ومحددات

المطلب الأول: مفهوم النبي والرسول والفرق بينهما

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

أولا: مفهوم "النبي":

ـ المعاني اللغوية لكلمة " النَّبي":

كلمة " النبي " تكتب، بغير همز، كما هو هنا، وتكتب بهمز في آخرها، هكذا "النبيء"[1].

وقد فرق العلماء بين الكلمتين، من حيث الاشتقاق والمعنى، فقالوا: إن أصل كلمة "نبي" بغير همز: مشتقة من النَّبْوَة والنّباوَة، وهو الارتفاع، وأصله الفعل "نَبَا"، الذي يدل على ارتفاع وبُرُوز، فيكون معنى النبي: هو المفضل على سائر الناس برفع منزلته[2].

---

١ ـ انظر: معاني القراءات للأزهري، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.(١/ ١٥٣) وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧ه.ـ (ص: ١٨٠) وغيرهما.

٢ ـ معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون. (٥/ ٣٨٤ـ ٣٨٥) مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م. (ص: ٨٥٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار العلم والدار الشامية، دمشق ـ بيروت، ١٤١٢ هـ، ت : صفوان عدنان داودي. (ص: ٧٨٩) تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ت. (١/ ٤٤٧، ٤٤٩)



وأما كلمة " النبيء " بالهمز، فقيل هي مشتقة من (نَبَأَ) (بالنون والباء والهمزة المفتوحات)، وتأتي فيه الدلالات التالية:

١- الدلالة على الخبر، المهم الصادق الذي يتضمن معنى العلم وغلبة الظن وله فائدة[١].

٢- الدلالة على الخروج من مكان إلى مكان[٢].

٣- الدلالة على المجيئ المفاجئ من غير دراية سابقة ولا اكتساب ذاتي[٣].

ومن هنا يتوجه التعريف للمعنى اللغوي للكلمة فيما يذكره الراغب في المفردات أن النّبي: هو المنْبِئ بما تسكن إليه العقول الذَّكيَّة، وهو يصحُّ أن يكون فعيلا بمعنى فاعل لقوله تعالى: {نَبِّئْ عِبادِي أني أنا الغفور الرحيم} الحِجر: ٤٩، وغيرها، وأن يكون بمعنى المفعول لقوله: {نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} التحريم: ٣)[٤].

وهناك دلالات أخرى للفظة ولكنها لا تخدم ما نحن بصدده في هذا البحث[٥].

١- انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٧٨٩)

٢ - معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٥) و تاج العروس (١/ ٤٤٤)

٣- انظر: تاج العروس (١/ ٤٤٧ ، ٤٤٨) والنبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. (٢/ ١٠٧٣) .

٤ - مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٧٨٩)

٥ - انظر: تاج العروس (١/ ٤٤٣- ٤٥٠) وغيره..

<u>المعنى الاصطلاحي للنبي:</u> ولعلي أقتصر على تعريفين فقط كنماذج، لكثرة التعريفات الواردة.

وقد عرّف العلماء "النّبِي" بما يوائم المعاني والدلالات اللغوية، مع مراعاة أدلة ودلالات أخرى:

ـ فابن تيمية ذكر أن النّبيّ: هو من ينبئه الله فيُخبره بأمره ونهيه وخبره، وهو يُنبئ المؤمنين بما أنبأه الله به من الخبر والأمر والنهي..، ولا يُسمّى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنه لم يُرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حقّ؛ كالعالمِ، ولهذا قال النبيّ صلى الله عليه وسلم عن العلماء: "العلماء ورثة الأنبياء"[1]؛ إذ النبيّ يعمل بشريعة من قبله)[2].

١ - هو جزء من حديث، قال في البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.(٧/ ٥٨٧) هذا الحديث صحيح رواه الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود في «سننه» والترمذي في «جامعه» وأبو حاتم بن حبان في «صحيحه» من حديث (أبي الدرداء) رضي الله عنه مرفوعا.. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)(٢/ ١٠٧٩)، وهذه الجملة ضعفت من سياقات وأسانيد غير هذه، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٨/ ٤١٩)..

٢ - انظر: النبوات لابن تيمية (٧١٧/٢، ٧١٨) والفتاوى الفقهية الكبرى، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)ن، جمعها: تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي (التوفى ٩٨٢ هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية. (٥/ ٢٥٦).

وأما الجرجاني في التعريفات فقال: النّبي هو: (من أوحي إليه بملَك، أو أُلهِم في قلبه، أو نُبِّه بالرؤيا الصالحة)، وقد أكد هذا التعريف صاحب معجم لغة الفقهاء[1].

معنى النُّبُوة:

وأما كلمة " النُّبُوة" من الناحية اللغوية لا تخرج عن إطار معاني كلمة "النبي"، أكتفي بذلك، ومن الناحية الاصطلاحية، لها تقارب مع تعريف النبي، ولكن تعريفها يجنح إلى الحال أكثر من الشخص، فالنبوة: هي: (سِفَارَة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة عللهم في أمر مَعادِهم ومَعاشِهم.)[2]

ثانيا: مفهوم "الرسول":

ـ المعاني اللغوية لكلمة "الرسول":

تَشتق كلمة "رَسُول" من الفعل (رَسّلَ أو أرسَلَ)، ومنه تأتي كلمة "رسالة"، وهذا الفعل ومشتقاته يأتي في اللغة للدلالة على المعاني التالية:

١. الشخص الَّذِي يُتابِعُ أَخبارَ الَّذِي أرسله، أَخذاً مِن قَولِهم: جاءَتِ الإِبِلُ رَسْلاً، أَي مُتتَابِعَةً[3].

---

١ ـ ا التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ (ص: ٢٣٩) و معجم لغة الفقهاء، المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
(ص: ٤٧٤)

٢ ـ مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٧٨٩)

٣ ـ تاج العروس (٢٩/ ٧٣، ٧٤) والتعريفات (ص: ١١٠)

٢. الحركة والخروج من مكان إلى مكان[1].

٣. الإطلاق والتخلية[2].

المعنى الاصطلاحي لكلمة" الرسول":

تتقارب التعاريف الاصطلاحية لكلمة الرسول في معانيها، كما يلاحظ ذلك من التعاريف التالية:

إذ يرى الجرجاني في التعريفات أن الرسول: إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام[3].

وفي معجم مقاليد العلوم يقول السيوطي : (إن الرسول: هُوَ المُرسَل من الله إِلَى أمته، أَو إِلَى جَمِيع الخلق. أو هو إِنسَان بَعثه الله إِلَى العباد لتبليغ مَا أُوحِي إِلَيهِ)[4].

ويعرّف الإمام محمد بن عبدالوهاب –في أصول الإيمان– الرسول بأنه: هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالَف أمر الله ليبلغ رسالة الله[5].

وفي القرآن يطلق الرسول على المرسَل من الله، كما في آيات كثيرة، ويطلق على المرسَل من غير الله، كما في قوله: {فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ} يوسف:٥٠، فالمقصود رسول الملِك، ويطلق على النبي، كما في قوله: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

١- مقاييس اللغة (٢/ ٣٩٢)

٢ - تاج العروس (٢٩/ ٧٢)

٣ - التعريفات (ص: ١١٠)

٤ - معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة. (ص: ٧٤)

٥ - أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٥٧)



مَكْتُوباً عِندَهُمْ} الأعراف:١٥٧، ويطلق على الملَك المرسَل من الله، كما في قوله: {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا} طه:٩٦، أي من أثر جبريل عليه السلام، كما هو عند عامة المفسرين[1]. ولا يدخل هذا المعني في مقصود البحث .

معنى الرسالة:

لا تختلف المعاني اللغوية لكلمة الرسالة عن الرسول، حيث إن أصلهما واحد ،إذ لا بد في الرسالة من رسول ومرسل فمعانيهما المشتركة كثيرة، واكتفيت بذلك، وأما الرسالة من حيث الاصطلاح، فيمكن ان تُعرّف بالاستناد إلى المعاني اللغوية وإلى الدلالات القرآنية، وذلك كما يلي:

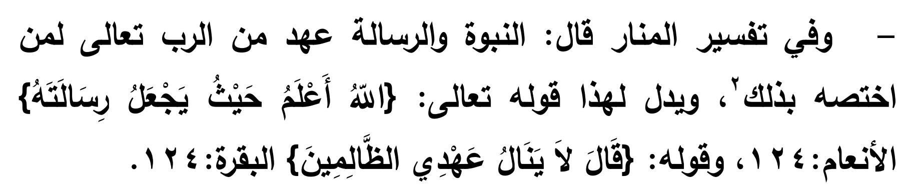
- قال صاحب تفسير اللباب: الرِّسالةُ: نَفْسُ الشَّيء المرسَل به إلى الغير[2]. ويدل لهذا قوله تعالى: {لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي} الأعراف:٧٩، وقوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} المائدة:٦٧.

---

١ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (٦/ ١٠٥٩)، ويطلق عموم اللفظ أيضا على: الرياح، والشياطين.. انظر مثلا: أصول الدعوة وطرقها ١ - جامعة المدينة (ص: ٤٥)

٢ - اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م. (٩/ ٣٠٤)

- وفي تفسير الشعراوي قال: الرسالة هي الجملة من الكلام التي تحمل معنى إلى هدف[1]، وهذا يَتَأَيَّد بالمعنى اللغوي.



- وفي تفسير المنار قال: النبوة والرسالة عهد من الرب تعالى لمن اختصه بذلك[2]، ويدل لهذا قوله تعالى: {اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} الأنعام:١٢٤، وقوله: {قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} البقرة:١٢٤.

- وفي محاسن التأويل للقاسمي ذكَر أن الرسالة هي: تبليغ مضامين مُعيَّنة إلى المستفيدين والمتابعين[3].

والخلاصة أن الرسول هو الشخص الحامل للرسالة والموصل لها، ويمكن أن يوصف الشخص بأنه رسول ولو لم يكن حاملا للرسالة.

---

١ - تفسير الشعراوي(الخواطر)،محمد متولي الشعراوي (المتوفى : ١٤١٨هـ) نشر عام ١٩٩٧ م. (٢/ ١٠٦٩)

٢- تفسير المنار . تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠ م. (٩/ ٨٣)

٣ - محاسن التأويل (٧/ ٦٣)

المبحث الأول : مفهوم دفاع الأنبياء عن أنفسهم ومحددات ذلك:

المطلب الأول : مفهوم دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم :

<u>في اللغة</u> يأتي الدِّفَاع مَصدرٌ من الفِعل: دَافَعَ، فيقال دَافَع دِفَاعاً، وفي معناه: دَفَعَ دَفْعاً[1]، وهو يدل على عدة معان، منها:

- تنحية الشيء وإزالته ولو بالقوة[2].

- التَّصَدِّي للشيء ورَدّه، ومنعه وإبطاله[3].

- و يُعَدَّي الدفاع بعن فيكون بمعنى: دفع الشر والأذى، والحماية، كقَولِه تَعَالَى: {إِنَّ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}[4].

<u>وفي الاصطلاح:</u> يُوصَف الدفاع بأنه:

- ما يستند إليه أيُّ خَصْم في تأييد ما يدّعيه.

- ردّ الحجة وإبطالها بالدّليل، أوردّ القول بالحجة والدليل، أو دفْع التهمةَ عن النفس بالحجة والدليل[5].

---

١ - تاج العروس (٢٠/ ٥٥٧) و معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م. (١/ ٧٥٣)

٢ - مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٨) وتاج العروس (٢٠/ ٥٥٣) والمعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول، تركيا. (٢٨٩)

٣ - معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٥٢)

٤ - تاج العروس (٢٠/ ٥٥٣) والمعجم الوسيط (٢٨٩) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٣٩)

٥ - معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٥٣)

هذه بعض معاني الدفاع ومشتقاته، التي تصب فيما نذهب إليه في هذا البحث، ومنها يتبين أن مفهوم دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم يقصد به:

قيام الأنبياء والرسل بالتصدي للاعتداءات والأذى والاتهامات، التي تقع عليهم وعلى دعوتهم ودينهم من خصومهم وأعدائهم، والاجتهاد في إزالة ذلك وإبعاده عن أنفسهم ودعوتهم، بما يقدرون عليه من وسائل مشروعة.

ـ والقرآن الكريم يبين أن الدفع والدفاع سنة من السنن الكونية الربانية التي تورث البناء السليم والقوي للأرض والحياة[1]، يقول تعالى: {ولَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ} البقرة٢٥١. ويبين أن الدفاع واجب لحفظ الدين وشعائره ومرتكزاته، فيقول: (ولَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ} الحج:٤٠، وفي قراءة: (ولولا دِفَاعُ الله الناس..)[2]. فالمدافعة لحفظ ركائز الدين، كما هو لِكفِّ الظلم والعصيان والاعتداء، وذلك يكون عن طريق عباد الله الصالحين، من الأنبياء والمؤمنين[3].

---

١ ـ انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. (٢/ ٥٠٠)

٢ ـ تحبير التيسير في القراءات العشر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، الناشر: دار الفرقان ـ الأردن / عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م (ص: ٤٧١)

٣ ـ انظر: مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة : ١٤٢٠ هـ. (٦/ ٥١٧) و التحرير والتنوير (١٧/ ٢٧٦) و التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (١/ ٤٢٥).



ويؤكد القرآن كذلك مشروعية عموم الدفاع عن الدين والنفس والعرض والمصالح.. ، فمن ذلك قوله: {وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ..} آل عمران:١٦٧، ففي الآية دعوة للدفاع عن الدين والنفس والمال والعرض والمصالح..، دفاعا مطلقا غير محدد الكيفية، والتشديد على المتراخي في ذلك أو المفرط فيه واضح، بل نص الرازي بأن أكثر العلماء قالوا بأن في الآية تنصيص بالكفر لمن لم يقم بواجب الدفاع المذكور في الآية[١].

والدفاع أيضا فيه تلبية لداعي الفطرة في رد الاعتداء والانتقام والانتصار من الظالم، كما يفيده قوله تعالى:{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ..} التوبة:١٤، ١٥، فذِكْر تلك الفوائد للقتال ـ وهو نوع من الدفاع ـ تحفيز، وفي تحققها تسكين للنفوس الموتُورَة من جرّاء العدوان والظلم الذي وقع عليها[٢]. ومما يؤكد هذا قوله تعالى:{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ} الشورى: ٣٩، وقوله: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ} الشورى:٤١.

وربما اختلفت مراتب إيجاب الدفاع، فقد ذكر ابن كثير عن غير واحد من السلف عند قوله سبحانه: {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ} يس:٢٨،أن فيه بيان أنه بعد نزول التوراة لم

---

١ ـ انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/ ٤٢٣)

٢ ـ انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٦/ ٦)

يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين[1].

ومما يؤكد مشروعية دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم ودعوتهم قوله تعالى مخاطبا رسوله: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ..} المؤمنون: ٩٦، فالدفع هنا من معانيه: دفع السيئة بالخصلة التي هي أَحسن في دفعها[2]، وفي هذا بيان لتنويع وسائل مدافعة السوء والتفنن فيها والتخطيط لها، بحسب ما يناسب الموقف، وذلك تسويغ للدفاع نفسه.

ومن هنا نعرف أن قيام الأنبياء والرسل بالدفاع عن أنفسهم ودعوتهم واجب مبدئي فطري وكوني وديني شرعي.

المطلب الثاني: محددات دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم:

وهنا سنتكلم عن محددات وأطر لدفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، وهذه المحددات هي أشياء إطارية أريد بها: تحديد نطاق المدافعة الذي يتحركون فيه، وبيان طبيعة الاستهدافات التي يدافعونها، ومزيدا من ضبط مفهوم الدفاع هنا، فهجمات أعداء الأنبياء والرسل متنوعة، فقد تكون على أشخاصهم، أو على دعواتهم ورسالاتهم وما يتعلق بها، أو على أقاربهم وأتباعهم، وقد تختلف طبيعة عداء أو هجوم عن آخر كما تختلف وسائل الأعداء وأهدافهم.

ويمكن أن نستخلص من القرآن الكريم مُحدِّدات إطارية لدفاع الأنبياء عن أنفسهم، فمنها:

---

١ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ط٣/ ١٩٨٩م، دار المعرفة بيروت، لبنان. (٦/ ٥٠٩)

٢ ـ التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٨/ ٧٠٥)



١. دفع التُّهَم التي تمسهم في أشخاصهم وأعراضهم من غير مجاملة ولا تأخر، ومن ذلك ما جاء عن يوسف عليه السلام، مثلا: {قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ..} يوسف:٢٦، فالملاحظ أن يوسف عليه السلام صبر كثيرا ولم يتكلم بصورة مباشرة عن امرأة العزيز إلا في هذه الحالة عندما اتهم اتهاما مباشرا، فالسكوت هنا إقرار بالتهمة، وقد قال هذه المقالة خوفا على النفس والعرض[1]. ومن ذلك الرد على ما يلصق بالنبي أو الرسول من الصفات السلبية، كالافتراء والجنون وغيرها، كما في قوله: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ}هود:٣٥، وقوله:{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ }سبأ:٤٦،

٢ـ الدفاع عن أزواجهم وأهليهم، وذلك لأن العِرض والقرابة لها تأثير على المستوى الشخصي والدعوي، وقد دافع النبي صلى الله عليه وسلم عن عائشة زوجته في حادثة الإفك فقال:(يَا مَعشَرَ المُسلِمِينَ، مَن يَعذِرُنِي مِن رَجُلٍ قَد بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهلِ بَيتِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمتُ عَلَى أَهلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَد ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي "[2]، ونُصِح آدم بحفظ نفسه وزوجه من عدوهما الشيطان، كما في قوله: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} طه: ١١٧، فآدم عليه السلام مَعنِيٌّ بحفظ زوجته والدفاع عنها، كما هو معني

---

١ ـ انظر: التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٤/ ٣٠٩) تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م. (١٢/ ١٣٤)

٢ ـ صحيح البخاري (٣/ ١٧٣) رقم: ٢٦٦١، وغيره..

بحفظ نفسه والدفاع عنها. ومن دعاء لوط عليه السلام:{رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ} الشعراء:١٦٩. ولكن يجب معرفة أن أقارب الأنبياء والرسل ليسوا معصومين، ولذلك فدفاعهم عنهم إنما هو من باب مصلحة الدين والدعوة، وفي مستوى من يدافعون عنهم من الناس، وأخطاء هؤلاء كأخطاء البشر الآخرين لا ينبغي أن يحاسب عليها الأنبياء والرسل.

٣. الدفاع عن مبادئهم ودعوتهم، ضد الطعن فيها والصد عنها، فذلك هو لبُّ رسالتهم، وشواهد ذلك في القرآن كثيرة، فكل رسول دافع عن رسالته ودعوته.. ومن ذلك الرد على الشبه التي تستهدف مبادئ الدين أو الرسالة، كما يفهم من قوله: {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} الأعراف٢٨، {قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ} يس١٥:، ومثل هذا كثير في القرآن..

٤ـ الدفاع عن أصحاب الحق من أتباعهم، كما يستفاد ذلك من قوله: {وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً} النساء:١٠٥، ففي الآية دليل على نهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يخاصم عن أحد إلا إذا كان محقا[١].

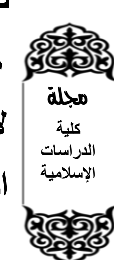
٥ـ الدفاع ضد الأعداء والاعتداء، فلا يتضمن دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم أمام الله، كما في قول موسى عليه السلام مثلا: {قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ..} الأعراف:١٥٥، وقول عيسى عليه السلام: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ} المائدة: ١١٧، وقول نوح {إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي..}هود:٤٥، فهذا الكلام

---

١ ـ محاسن التأويل (٣/ ٣٢٤) وغيره.



منهم لا يدخل في مقتضى البحث، لأننا قد حددنا مفهوم الدفاع فيه بأنه ضد العداوة، والله تعالى -جلَّ في علاه- ليس عدوا ولا مُساءلته اعتداء.



٦ ـ الدفاع الذي يكون منهم أنفسهم، فيخرج دفاع الله عن أنبيائه ورسله، لأنه أمر خارج عن عملهم وإرادتهم وقدراتهم، وقد بيَّنت جانبا من ذلك عند الكلام عن المفاهيم المرتبطة بدفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم..

المبحث الثاني :المقومات الربانية في الدفاع عن الأنبياء والرسل

والكلام عن هذه الجوانب سيكون موجزا بقدر ما يبين علاقتها بالدفاع عن الأنبياء والرسل، وبعيدا عن الاستقصاء والخلافات.

أولا: العِصْمَة والتَّوفِيق:

1ـ العصمة: ومعانيها في اللغة تدل على إمساك ومنْع ومُلازمة[1]، وجاءت أيضا هذه الدلالات في آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن العصمة ومشتقاتها.

وفي الاصطلاح ينبغي أن نفرق بين مستويين للعصمة: عصمة الأنبياء والرسل عن عَمل السوء، وعصمتهم من تأثير السوء عليهم، والتعريف الجامع لهذين المعنيين هو تعريف الراغب في المفردات، حيث ذكر أن عصمة الأنبياء والرسل تعني: حِفظ الله لهم بوسائل وخصائص اختصهم الله بها[2].

ومن العصمة: الحفظ عن الكذب في أخبار الوحي، والحفظ عن الكفر والقبائح التي يُطعَن بها على من يعملها أو يقع فيها، ومن العصمة الحفظ عما يؤدي إلى دناءة همة، أو التلبس بمنهي عنه أو مقاربته، والعصمة هنا تكون لدفع القبائح عن الأنبياء والرسل حتى لا تكون مجالا للطعن فيهم وفي دعوتهم[3]..

١ ـ معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٣١)

٢ ـ انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٥٧٠) ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٣١) والتعريفات (ص: ١٥٠) والمعجم الوسيط (٢/ ٦٠٥)

٣ ـانظر: الكليات (ص: ٦٤٥)



ومن العصمة: المنع من الركون إلى الكفار[1]، كما يفهم من قوله تعالى:{ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا} الإسراء: ٧٤.

ومن موجبات العصمة عموما: الاعتصام والاستعصام بالله[2]، كما في قوله تعالى {وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}آل عمران:١٠١، وفي قوله:{وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ} يوسف:٣٢، والاعتصام والاستعصام فعل إنساني، وهو من الوسائل الدفاعية التي يأخذ بها الأنبياء والرسل، فالاعتصام هنا يعني: الامتناع بالله[3]، والاستعصام يعني: الاستمساك، كأنّ المستعصم يطلب ويتحرى ما يَعْتَصِمُ[4].

<u>٢- التوفيق</u>: وهو من حيث اللغة يعني: الملاءمة بين الشيئين[5]، والتسديد[6]، والإلهامَ للخَيْر[7]. وأصل التوفيق: الموافقة[8].

وفي الاصطلاح، التوفيق يعني: جعل الله فعلَ عبده موافقا لما يحبه

---

١ -انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٣، ٢٩٤)

٢ - معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٣١)

٣ - التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٣٨٣ هـ. (٧/ ١٩٨)

٤ - مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٥٧٠)

٥ - معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٢٨)

٦ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت. (٢/ ٦٦٧)

٧ - تاج العروس (٢٦/ ٤٧٩)

٨ - انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠/ ٧٥)

ويرضاه[1]. وقال ابن القيم (التوفيق: هو ألاّ يكلك الله إلى نفسك)[2]، ومعنى ذلك: (هو أن يمنحك فوق كل ما في قدرتك وما تتوجه إليه إرادتك مما تعلم من الخير لنفسك ما يتوقف عليه النجاح وإصابة الخير مما ليس في مقدورك ولا يصل إليه اجتهادك وحدك)[3].

وكلّ هداية ذكر الله عزّ وجلّ فهي التّوفيق الذي يختصّ به المهتدون، وقوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} التغابن: ١١، هو إشارة إلى التّوفيق الملقى في الرّوع فيما يتحرّاه الإنسان[4].

والتوفيق يطلب بالاعتصام بالله والإيمان به، كما بينت الآية السابقة، ويطلب بإرادة الخير وصلاح النية[5]، كما يبين قوله تعالى: {إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا} النساء:٣٥.

والعصمة والتوفيق كل منهما يندرج تحت الحفْظِ واللُّطْف الإلهي اندراج الأخص تحت الأعم[6]، وهما من أمر الله وحده[7].

ثانيا: المعجزة والكرامة:

---

١ - التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ (ص: ١١٣)

٢ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤١٥)

٣ - تفسير المنار (٨/ ٣٩)

٤ - مفردات ألفاظ القرآن (ص:٨٣٦، ٨٣٧)

٥ - السراج المنير في (١/ ٣٠١) والتفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت. (٣/ ٧٨٤)

٦ -انظر: الكليات (ص: ٦٤٥)

٧ - انظر: تفسير الشعراوي (٤/ ٢٢٠٥)

١- المعجزة: في اللغة مشتقة من الفعل " عجَزَ" ومن دلالاته الضعف والتأخر وعدم القدرة[١].

وفي الاصطلاح تّعرَّف المعجزة بأنها: أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، يقصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله[٢].

وقيل هي: اسم فاعل من الإعجاز وهي في الشرع أمر خارق للعادة، من تركٍ أو فعلٍ، مقرون بالتحدّي مع عدم المعارضة[٣].

والمعجزة تدفع عن النبي أو الرسول تهمة الكذب، فهي دليل وحُجّة لهم على صدق ما جاءوا به من عند الله[٤]. وهى: إما حسيّة أو عقلية، وأكثر معجزات من سبق من الأنبياء في الأمم السابقة حسية.

ولا شك أن المعجزات هي من شأن الله في دفاعه عن الأنبياء والرسل، فالمعجزات كانت سببا في انتصارهم أو نجاتهم أو تفوقهم أو إثبات صحة مواقفهم ودعواتهم. ومن ذلك إنجاء إبراهيم من النار التي قُذِف فيها، وإنجاء الله لوط وضيوفه من بطش أعدائهم، ورفع عيسى وإنجائه من بطش أعدائه...

---

١ - انظر: لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ. (٥/ ٣٦٩)

٢ - التعريفات (ص: ٢١٩) والمعجم الوسيط (٢/ ٥٨٥)

٣ - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٥٧٥)

٤ - تفسير الشعراوي (١٣/ ٨٢١٠)

٢ـ <u>الكرامة:</u> من معاني الكرامة في اللغة: التكريم والنفاسة والعظَمة والعطِيَّة، وفيها إطلاق على الحسي والمعنوي[١].

وهي في الاصطلاح: عبارة عما يصل من الله إلى وليّه ويظهر عليه من كل نافع عزيز نفيس شريف[٢]. وهذا في العموم.

وقيل: الكَرَامَة الأَمر الخارق للعَادَة غير المقرون بالتحدي وَدَعوى النُّبُوَّة، يظهره الله على أَيدي أوليائه [٣].

وقد تظهر على أيدي الأنبياء والرسل أو غيرهم[٤]، بدليل عموم قوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} الأنبياء:٢٦، فالمراد بالمكرمين: الذين تلحقهم كرامة الله تعالى، وهم الملائكة والأنبياء وأفضل الصالحين[٥]. وتقع إما لدفع ضرر أو لتحقيق نفع[٦].

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة (١٧١/٥، ١٧٢) و تاج العروس (٣٣/ ٣٣٧)..

٢ ـ رسالة الشرك ومظاهره، المؤلف: مبارك بن محمد الميلي الجزائري (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) (ص: ١٨٦)

٣ ـ التعريفات (ص: ١٨٤) والمعجم الوسيط (٢/ ٧٨٤)

٤ ـ انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ـ قسم العقيدة (ص: ٣٧٧).

٥ ـ التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٧١) وانظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إعداد: أحمد بن علي الزاملي عسيري، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة ـ كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود، الإسلامية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٣١ هـ (ص: ٤٧٤)

٦ ـ انظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: ٤٧٤)

وبين الكرامة والمعجزة اتفاق في أنهما من خوارق العادات، ومن الفروق بينهما: أن الكرامة غير مقرونة بالتحدي ولا بدعوى النبوة، وأن المعجزة لا تحدث إلا لنبي. وقد حقق العلماء ذلك في كتبهم[1].

وفي نهاية هذا المطلب يتقرر في المفاهيم المذكورة وهي: (العصمة، والتوفيق، والمعجزة، والكرامة): أن الرابط بينها هو أنها من فِعْل الله تعالى لا يقدر أحد من الخلق على فعلها أو القيام بها، والهدف من عَرضِها في البحث بيان تكميل الله لأنبيائه ورسله، وعدم إمكان وجود النقص فيهم ، ودفاعه عنهم وحفظه لهم

ومع وجود أشياء أخرى تأتي في إطار مدافعة الله سبحانه عن أنبيائه ورسله عموما، مثل إنزال العذاب والهلاك وضرْب الذلة والمسكنة على أعدائهم، وإضعاف خصومهم... فقد اقتصرنا على ما ذكرناه لما فهمناه من أن ما ذكرناه يأتي في سياق التأهيل الذاتي للأنبياء والرسل، فهي سياج من سياجات الدفاع المباشرة المتعلقة بهم شخصيا وبمؤهلاتهم التي يختلفون بها عن بقية البشر ..

---

١ ـ انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٦/ ٥٠٧) وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٥٧٥) ومنهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: ٤٧٤) وغيرها..

المبحث الثالث: **أساليب ووسائل دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم**

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

الوسائل هي ما يتوصل بها إلى تحصيل الأشياء والمقاصد والغايات[1]، والمراد بها هنا الأمور التي قام بها الأنبياء والرسل للدفاع عن أنفسهم، وقد سبق الكلام عن مشروعية دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، ومعلوم أنه في سبيل ذلك الدفاع لا بد من وجود وسائل تنفيذية فاعلة، تكافئ ما يمارسه الأعداء من أنشطة الاعتداء والمعاداة، وتتبع الدفاع في المشروعية. وقد يكون بعضها وسيلة مشتركة لتحصيل أكثر من هدف في بناء الدعوة والرسالة، والدفاع عنها.

وقد ذكر القرآن الكريم أساليب ووسائل متنوعة دافع بها الأنبياء والرسل عن أنفسهم، سأذكرها هنا من غير قصد إلى ترتيبها النهائي، ولا إلى استقصاء أدلتها، كما هو منهج البحث،

أولاً: وسائل دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم وأهمها:

١. التشريعات والقوانين والأنظمة الحياتية[2]، التي تبني الحياة بجميع جوانبها، ففي ذلك رد على افتراءات الأعداء وشبهاتهم التي تستهدف الرسالات والرسل، كما هي مثلا في قول فرعون: {إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} غافر:٢٦. فالشرائع السماوية هي لبنات متراكمة في بنيان الدين والأخلاق وسياسة المجتمع[3].

٢. قوة الحجج والبراهين الدالة لصدقهم ودفع كلام أعدائهم، ومن ذلك ما جاء عن إبراهيم عليه السلام، في محاجته لقومه، يقول تعالى: {وَحَآجَّهُ

١ ـ انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٤١)

٢ ـ انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٥٤)

٣ ـ انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١/ ٢٧٩)

قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً} الأنعام:٨٠، فقد وقعت المحاجة بينه وبين قومه، فردّ على حججهم وأقام الحجة والدليل على صحة قوله، ولإقناعهم[١].

٣. المباهلة، وهي التضرع في الدعاء لاستنزال اللعنة على الكاذب[٢]، وصورتها: أن يجتمع الأنبياء والرسل مع خصومهم ويخرجون بأبنائهم ونسائهم، ثم يدعون الله تعالى أن ينزل اللعنة على الكاذب من الفريقين[٣]، وهي تكون عند اشتداد الجدال وإنكار الأدلة الظاهرة الواضحة، فهي بمثابة احتكام إلى الله من أجل إثبات الحق ودفع الباطل[٤]، ويبين ذلك قوله تعالى:{فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} آل عمران:٦١.

٤. الاستعانة بالغير، من الناس والأتباع، وقد أشار لذلك قوله تعالى: {وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ} البقرة:٢٥١، وقوله:{ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً } الحج:٤٠، وسياق الآيتين يؤيد أن الناس وسيلة مهمة وقوية في التدافع، وقد ترجم هذا المعنى لوط عليه السلام في قوله: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} هود:٨٠، فقد أوضح أن من وسائل الدفع وجود جماعة من الناس، يتبعونه ويمنعونه

---

١ - انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٤٤٥)

٢ - تفسير الشعراوي (٣/ ١٥١٩)

٣ - أوضح التفاسير (٦٧)

٤ - انظر: تفسير الشعراوي (٣/ ١٥١٩)



ويقفون معه في وجه أعدائه[1]، ومما يأتي هنا قول موسى عليه السلام: {وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي } طه: ٢٩- ٣١. وغيرها.. وفي كلمة "الناس" هنا في قول الله تعالى (ولولا دفع الله الناس) الحج:٤٠ ؛عموم يشير إلى أن النبي أو الرسول يمكن أن يستغل الناس كلهم للدفع عن قضايا عمومية مثلما بينتها الآية[2].

٥- الجهاد والقتال، وهذا نوع متقدم من الدفاع، وقد ذكر الله عن أنبيائه قتالهم لأعدائهم فقال: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ }آل عمران:١٤٦، ومن أهداف القتال دفع المطاعن عن الدين، كما في قوله تعالى:{وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} التوبة:١٢.

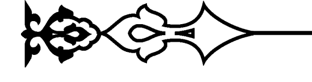
وكلمة الجهاد تأتي في هذا السياق لتدل على التوسع في ميادين المواجهة وفي وسائلها[3]، كما يرشد إليه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ}في سورتي: التوبة:٧٣ و التحريم:٩، وكما يؤكده قوله تعالى لنبيه: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً}الفرقان:٥٢، والضمير

---

١ - انظر: محاسن التأويل (٦/ ١٢١) و تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٨٦) وغيرهما..

٢ - انظر: تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٨٣٨)

٣ - انظر: التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٣/ ١٧٣٣) وموسوعة فقه القلوب، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية. (٣/ ٢٥٣٦) وغيره..





في قوله "به" يعني القرآن أو بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم عموما[1].

٦- الإجماع على ارتباط الأنبياء والرسل عموما، وعدم التفريق بينهم، فالمعاداة لواحد منهم هي معاداة لهم جميعا؛ ذلك أن دينهم واحد، ومبدأهم واحد، وهم متشابهون في كل شيء، وبالتالي فإن هذا الربط بين الأنبياء والرسل جميعا وسيلة دفاعية تَرُدّ على كثير من الشبه والطعون، وتكشف زَيف كثير من جوانب العداء للأنبياء والرسل، وهذه الوسيلة أيضا ميزة من مميزات الدفاع الذي اعتمده الأنبياء والرسل، ومن الآيات التي تبين ما قلناه: {مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} البقرة:٩٨، وقوله:{ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}البقرة:٢٨٥، وقوله:{وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ}هود:٥٩، ذكرت هذه الآية أن قوم عاد عصوا جميع الرسل، مع أنهم عصوا هودا فقط، ولكن ذلك هو دليل وحدة الرسالات[2].

ثم إن الله بين أن الرسل والأنبياء سلسلة واحدة في معرض الدفاع عنهم، كما في قوله: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ } آل عمران:١٤٤، وقوله:{مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ} المائدة:٧٥، وقوله: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ} الأحقاف:٩. فالروابط الحاصلة بين الأنبياء جميعا يجعل الطعن في واحد منهم ومعاداته

---

١ - انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ. (١٩/ ٧٨) وغيره..

٢ - انظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٨١)

عداء لهم جميعا.. ولا يستقيم الإيمان بواحد منهم وتنزيهه والطعن في غيره..



٧- اعتزال العدو والابتعاد عنه، وله عدة صور كالإعراض والفرار والخروج من مواقع العدو وسلطته، والصمت وعدم الجهر بالرد، ولم يعد القرآن ذلك عيبا في حق الأنبياء والمرسلين، بل ذكره في معرض بيان اجتهادهم في الدفاع عن أنفسهم، ما دام أن الوضع والتقدير اقتضيا ذلك، فمن ذلك ما ذكر عن موسى: {فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ} الشعراء:٢١، وهذا وإن كان قبل الرسالة، إلا أنه لم يذم عليه، وكذلك جاء عن يوسف عليه السلام، {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ}يوسف:٢٥، وهذا يعني أنه هرب منها، وأيضا جاء عنه أنه آثر دخول السجن فقال: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} يوسف:٣٣، وهو نوع من الانسحاب من المواجهة، وحتى في القتال معروف أن الانسحاب قد يكون نوع من التخطيط العسكري الناجح، والدفاع قد يكون بأن تَفِرَّ لَتِكِرّ[١]، ومن عدم المجاهرة بالرد من أجل الوصول لهدف معين، ما جاء عن يوسف عليه السلام: {فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ} يوسف:٧٧، قالوا أخفى هذه الجملة التي في الآية في نفسه ولم يظهرها[٢]، ومن ذلك قوله تعالى: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً} الأنعام:١٠٨، فهذا أمر يدخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم، كما يدخل فيه المؤمنون[٣]، وهو نوع من دفع الأذى، ومن الصمت الذي يدفع الأذى،

١ - انظر: تفسير الشعراوي (٢/ ١٠٦٠)

٢ - انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٤٩٠)

٣ - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٣٣٢)

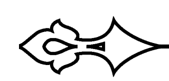
ما يفهم من قصة يوسف عليه السلام أنه عندما أخرج من البئر وحضر إخوته لبيعه للقافلة لم يتكلم عن أصله ولا عن قصته خوفا من أن يقع عليه من إخوته ـ بحسب بعض الأقوال[1]ـ فيقع عليه منهم أكثر مما هو فيه، وكذلك لما حكم عليه بالسجن، مع ظهور براءته، لم يواصل دفاعه عن نفسه، بل آثر الصمت واستسلم للسجن، وذلك وإن كان مصلحة لامرأة العزيز إلا أنه أيضا كان مصلحة ليوسف في نفس الوقت، حيث يتناسى الناس الأمر[2]، وكان في ذلك أيضا حماية له ربما مما هو أكثر من ذلك كالقتل مثلا؛ إذْ كيف يواجه عزيز مصر ويقف في وجهه وهو عبد مملوك في ذلك الوقت.. ومن الخروج عن مواقع الأعداء: خروج موسى بقومه من مصر، وهجرة لوط، وهجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، .. ومن الإعراض عن الخصم في هذا الباب، ما يفيده قوله تعالى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ} النساء:٦٣، فهذا الإعراض عنهم فيه عدة فوائد، منها: إظهار السخط وفي ذلك زجر وإغلاظ، وفيه إبقاء وكبت للعداوة في نفوسهم[3]، ويؤيد هذا ما في قوله: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } الأنعام:.٦٨

---

١ ـ انظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ م. (٩/ ١٥٥)، تفسير أبي السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت. (٤/ ٢٦١)..

٢ ـ انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٤٥٢)وتفسير المنار (١٢/ ٢٤٨) و تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٩٧)

٣ ـ انظر: مفاتيح الغيب (١٠/ ١٢٤)



٨ـ اللجوء إلى الله، في دفع السوء وأهله، وطلب العون منه على دفعه ومواجهته، ومن ذلك ما جاء في حق عموم الأعداء، {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} غافر:٥٦، وفي حق الشيطان: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} الأعراف:٢٠٠.

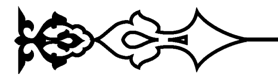
٩- الأخذ بالحيطة والحذر ،كما في قصة موسى عليه الصلاة والسلام في قول الله تعالى (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) القصص: (٢١) وخروج النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة في قول الحق تبارك وتعالى (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) التوبة :٣٩ ،وقول الله تعالى للوط عليه الصلاة والسلام (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) الحجر : (٦٥) .

ثانياً: أساليب دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، وأهمها:

١- البيان، ويقصد به: إظهار المعنى وإيضاحه لمن يجهله[١]. ويمكن أن يكون البيان أهم أسلوب لدفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، فهو من مهمات الرسل ووسائلهم الأساسية[٢]، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}إبراهيم:٤، وكما يقول تعالى: {فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ

١ - التعريفات (ص: ٤٧)

٢ - انظر: التدرج في دعوة النبي، المؤلف: إبراهيم بن عبد الله المطلق، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ (ص: ٥٦)





الْبَلاغُ الْمُبِينُ } النحل:٣٥، ويقول: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} النور:٥٤، والآيات كثيرة في هذا، والبيان هو حق للناس كافة[١]، كما يشير له قوله تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ} آل عمران:١٣٨:، وقوله: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} النحل:٤٤، وغيرها، وأيضا البيان لإزالة الجهل الذي يعتري البشر، أو الذي يكون سببا في عدم معرفة الحق، وسببا في العداوة التي تصدر عنهم[٢]. ولعل الجهاد بالبيان، من أجل دفع الانحرافات التي يمكن أن تكون مدخلا للطعن في الرسالات، وحلّ شبه المخالفين، يزيد في كثير من الأوقات على الجهاد بالسيف[٣]. ويدخل هنا قوله تعالى: {وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً} النساء:٦٣، فالوعظ والقول البليغ يعنيان قوة البيان الذي يزجر عن العداوة وأسبابها[٤]

٢- الحوار، وهو المراجعة في الكلام حول أمر من الأمور[٥]، وقد ذكر الله نماذج من حوارات الأنبياء والرسل مع أقوامهم في مقام الدعوة، وفي مقام الدفاع عن أنفسهم، وذكر توجيههم للحوار، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:{وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ

---

١ - انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٤٠)

٢ - انظر: أصول الدعوة وطرقها ٣، كود المادة: IDWH٣٠٣٣، المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية. (ص: ٢٩٢)

٣ - محاسن التأويل (٥/ ٢٠٥) وأصول الدعوة وطرقها ٢،كود المادة: IDWH٣٠٢٣، المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية (ص: ٢٦٦)

٤ - انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠/ ١٢٤)

٥ - انظر: تاج العروس (١١/ ١٠٨)

بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} يونس:٤١، وقوله: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} سبأ٢٤:، وما جاء عن حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً..} مريم:٤٢ وما بعدها، وما جاء عن موسى مع فرعون وملئه، وغير ذلك، فالحوار أسلوب اعتمده الأنبياء للبيان والدفاع، وفيه منافع كثيرة، وهو مانع من الاندفاع في الخصومة والاستثارة لها، وهو يحقق أمرا ربانيا، وهو تعميم للخير ودفع للشر[١].

٣- القول الحسن، وهو أعم من المجادلة بالحسنى، كما يقول الله تعالى:{وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً} البقرة: ٨٣، والقول الحسن يجمع سائر الفضائل[٢].

٤- المجادلة بالتي هي أحسن، كما في قوله تعالى: {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} النحل:١٢٥، وإن كان يشملها القول الحسن، السابق الذكر، إلا أن النص عليها مستقلة يدل على أنها أسلوب مستقل في بعض الأطوار التي قد يحتاج فيها النبي إلى المدافعة عن نفسه ودعوته، والمدافعة أمر فوق البيان والقول الحسن، والمجادلة تحقق ذلك، فهِيَ المناظرة لَا

١ - انظر: الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور - الممارسة - سبل المواجهة)، المؤلف: يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الناشر: صوت القلم العربي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م(٤/ ١٧)

٢ - انظر: - أوضح التفاسير، المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤م. (١/ ١٥)

لإظهَار الصَّوَاب، بل لإلزام الخصم أيضا[1]، وذلك ما يظهر من قوله تعالى: {قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا} هود:٣٢، وقوله:{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} الكهف:٥٦، وقوله: {وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} غافر:٥، فالمجادلة وسيلة من وسائل مدافعة الرسل والأنبياء، لتقرير الحق ودفع الباطل[2]، وهذا من اتخاذ الوسائل المكافئة لكل حالة، مع اعتبار الزمان والمكان والإنسان[3].

٥- التحدي، هو منازعة الغلبة، ويكون بإنذار شخص بفعل شيء، مع التّلميح إلى عدم قدرته عليه[4]، ومن الأنبياء والرسل من اتخذ التحدي أسلوباً لإظهار الحق والدفاع عنه، ودحض افتراءات خصومه، ومن ذلك ما جاء عن نوح عليه السلام: {ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ}يونس:٧١، وعن هود عليه السلام: {فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ} هود:٥٥، ومن ذلك التحدي من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأن يأتوا بمثل القرآن أو مثل عشر سور منه أو مثل سورة منه، وفي التحدي تعجيز للمبطلين وإلزام للمخاصمين[5].

---

١ - المعجم الوسيط (١/ ١١١)

٢ - انظر: مفاتيح الغيب (٢/ ٣٢٥)

٣ - انظر: البصيرة في الدعوة إلى الله، المؤلف: عزيز بن فرحان العنزي، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الناشر: دار الإمام مالك - أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. (ص: ١٢٣)

٤ - انظر: تاج العروس (٣٧/ ٤١٠) ومعجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٤٦١)

٥ - انظر: التحرير والتنوير (٢٨/ ٢١٦)



٦- البراءة من العدو وأعماله، فالبراءة أسلوب ينزع عن العدو غطاءاً يمكن أن ينخدع به بعض الناس؛ حيث قد يراعي القرابة بين النبي أو الرسول وبين بعض خصومه، وفي هذه البراءة أيضا دفع الشبهة عن النبي أو الرسول في هذا الجانب، ومنعٌ لما قد يستغله الخصوم من هذه الحالة، كما يفيد قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ}التوبة:١١٤، ويؤكد هذا المعنى ما جاء من أمر الله بالاقتداء بإبراهيم وأتباعه في البراءة من الكفار ولو كانوا أقارب، مع استثناء وعد إبراهيم لأبيه بالاستغفار، فليس ذلك مما يُتأسّى به[١]، كما في قوله تعالى:{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ.} الممتحنة:٤. وقد أظهر إبراهيم عليه السلام البراءة الكاملة في قوله: {يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} الأنعام:٧٨، فدفع بذلك شبهات أعدائه التي تشير إليها الآية، من أن الآلهة أصابته بسوء، أو أنه اتبعها أو جامل في دينه[٢]، و مثل هذا جاء عن هود عليه السلام، كما في قوله:{قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} هود:٥٤..

١ - انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٤/ ٣٣٠)

٢ - انظر: التحرير والتنوير (٧/ ٣٢٢) وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. (٢/ ٥٥٣).

٧- تحريض المؤمنين على الجهاد والقتال، كما يفيده قوله تعالى: {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} النساء:٨٤، فالتحريض أسلوب لإيقاف بأس الكافرين، وكسر قوتهم العدوانية[١].

٨- كشف مثالب العدو والخصم وما يلحق به، والتصريح بذلك للناس، فذلك نوع من الدفاع الذي قام به الأنبياء والرسل عند مواجهة خصومهم وأعدائهم، من باب بيان الحق وتبرئة الجانب، ومن هذا ما ورد عن إبراهيم عليه السلام في تبيينه جوانب من سخافات أعدائه وسفههم وضعف معبوداتهم، حيث قال: {هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ} الشعراء:٧٣، ثم أعلن عداءه لهم وبين جوانب من حججه فقال:{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ} الشعراء: ٧٩، وكما جاء عن يوسف {قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ}يوسف:٢٦، فقول يوسف هذا الكلام هو لدفع التهمة عن نفسه، وقد قاله مضطرا عندما لم يجد مفرا من ذلك[٢].

وبهذا أكون قد عرضت ما توصلت إليه من وسائل وأساليب لدفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، في إطار بحثي هذا، وبعض الوسائل قد يتوصل بها لأكثر من غرض، ولست أدعي أنني استقصيت كل الوسائل في الباب، ولكني قصدت ما ظهر لي منها، و فوق كل ذي علم عليم .

---

١ - دستور الأخلاق في القرآن، المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م (ص: ٣٣٠)

٢ - انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، المؤلف: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي (١/ ٥٢٩) وغيره .



المبحث الرابع: مميزات دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم

وأريد بالمميزات هنا: المبادئ الجامعة المُميّزة لأساليب ووسائل ومناهج دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم[1]، وهي التي يمكن من خلالها التعرف على هَدْيهم في كيفية دفاعهم عن أنفسهم، ويمكن أن يسترشد بها في السير على طريقهم[2]؛ وتأتي أهمية معرفة تلك المميزات من خلال إدراك أن سلوكهم هو السلوك الكامل الذي ارتضاه الله في كل شأن وأمرنا بالاقتداء بهم فيه، وقد جاء في القرآن الكريم بيان شامل لمميزات دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، سنذكرها بما يوافق منهجية هذا البحث. وذلك كما يلي:

١ـ الميزة الأولى: البيان المبين كمبدأ دائم واسع، وبصور متنوعة، فمقصود البيان هو: التوضيح الذي لا يبقى معه لبس، وهو يشمل أساليب قولية وعملية متعددة المستويات ومتنوعة الكيفيات[3]، كما يشمل الأدلة ومدلولاتها، والحجج وبراهينها، حتى يتحقق الإدراك الكامل للكليات والجزئيات على وجه تام[4].

---

١ ـ انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٠٩) ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٤٤)

٢ ـ انظر: تاج العروس (٣٣/ ١٣٢)

٣ ـ انظر: معجم الفروق اللغوية (ص: ٣٦٠)

٤ ـ انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).(١٩/ ١٤٤)

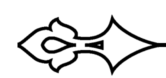
والبيان هو وظيفة الأنبياء والرسل الأساسية، كما ذكرت سابقا، ومن أوضح الآيات الدالة لذلك، قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} إبراهيم:٤، وقد قوى الله وشَجّع نبيه محمد عليه الصلاة والسلام بالبيان الكامل فقال: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} الفرقان:٣٣، ومنّ الله على موسى وهارون بما أعطاهما من بيان في كتابهما[١]، فقال:{وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ} الصافات:١١٧، فيبقى البيان هو أعظم سلاح تسلح به الأنبياء والرسل عموما، وفي مقام الدفاع عن الحق خصوصا[٢].

٢ـ الميزة الثانية: الإيجابية التي لا تعرف اليأس ولا الإحباط، ونعني بالإيجابية، حالة الاندفاع الواعية التي ينتج عنها أعمال ناجحة ومقبولة وموفَّقة، هدفها الوصول إلى غاية عليا، مع احتمال كافة الصعاب[٣]. وهكذا كان الأنبياء والرسل، عليهم السلام، لا يصيبهم إحباط ولا يأس في سبيل الوصول إلى الغاية التي أُمروا بتحقيقها، ولذلك نجدهم في أحلك الظروف يظهرون السعادة والطمأنينة، كما نراه في قول النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الهجرة: {لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا} التوبة:٤٠، فهو في خضم المدافعة وقد أحصر في الغار، ومع ذلك يعطي من خلال كلامه الثقة

١ ـ انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ٢٨١)

٢ ـ انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ١٩٤)

٣ ـ انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٠١) وموسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، المؤلف: ياسر عبد الرحمن، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م. (١/ ٢٤٦)



والطمأنينة ويبعث الروح الإيجابية، وقد نهاه عن الحزن لأن الحزن خمود لجذوة الطلب، وهمود لروح الهمة، وبرود في النفس، وهو حمى تشل جسم الحياة[1]. وذكر الله قول موسى وهو في أحلك الظروف: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } الشعراء:٦٢، قال ذلك تثبيتًا للأَقدام، وتطمينًا للقلوب، وكان البحر أَمامهم والعدو خلفهم[2]. وقد بين الله أن من سنن النجاح والفلاح: عدم الاستسلام أو الضّعف، كما يفهم من سياق قوله: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} آل عمران:١٣٩، وحتى أننا نجد أن من مهمات الأنبياء والرسل الأساسية: التبشير، وهو في عرف اللغة يعني الإخبار بما يَسُرّ [3] ، وذلك مما يدعم الإيجابية التي يتمتعون بها، قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} البقرة:٢١٣، وقال أيضا:{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ} الأنعام:٤٨. وهكذا نلمس الروح الإيجابية في دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم في أعمالهم وخطاباتهم وكل تحركاتهم.

٣ـ الميزة الثالثة: الاتزان والرزانة، والاتزان يعنى الاعتدال في التصرف، والرزانة تعني الاتصاف بالحلم والوقار[4]، وذلك هو مقتضى النُّضج والكمال الذي وهبه الله لأنبيائه ورسله، ومقتضى المصلحة أيضا، والمقصود أن الأنبياء والرسل قاموا بالدفاع عن أنفسهم من غير أن يَفقدوا في أنفسهم ولا في تصرفاتهم شيئا من هاتين الصفتين الجامعتين، وقد ظهر ذلك في

---

١ ـ انظر: لا تحزن، المؤلف: عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان (ص: ٧٣)

٢ ـ التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٦/ ١٠٤٩)

٣ ـ تاج العروس (١٠/ ١٨٥)

٤ ـ معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٨٨٥) و(٣/ ٢٤٣٢)



المرونة التي كانوا يتعاملون بها مع خصومهم وأعدائهم، فلم تؤثر فيهم استفزازاتهم السلبية ولم يواجهوا السوء بمثله، وهذا ما يتبين من الردود الهادئة التي ذكرها القرآن عن بعضهم[1]، كما في قوله:{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} الأعراف:٦٧، وقوله:{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} الأعراف:٦١، وقوله:{قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} سبأ٥٠. وغير ذلك..

وقد حكى الله عن أنبيائه ورسله أنهم صبروا على أعدائهم أعظم الصبر، في مثل قوله: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ} الأنعام:٣٤، فالصبر والشكر والشجاعة والحلم والزهد والسخاء والحكم بالعدل، كل ذلك مما واجه به الأنبياء والرسل أعداءهم، وهو من مظاهر الاتزان والرزانة[2].

٤ـ الميزة الرابعة: الفطنة والحصافة في الدفاع، وهذا يعني أن يتم بذكاء وفطنة، فتستعمل الوسائل بمهارة، ويكون كل تصرف في محله، وهذا بعض ما يعبر عنه قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ} المؤمنون:٩٦، ففي معناه: أن تكون الوسيلة الدافعة مؤدية للغرض من الدفع[3]، وهذا يحتاج إلى مهارات تعاملية خاصة، فقد يكون الدفاع في السكوت وعدم التعرض للعدو أحيانا، كما يبينه قوله تعالى: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام:١٠٨، حتى لا يتسع التعدي

---

١ ـ انظر: مفاتيح الغيب (١٤/ ٣٠١)

٢ ـ انظر: تفسير المراغي (٧/ ١٨٥) وغيره..

٣ ـ التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٨/ ٧٠٥)

إلى ما هو أعظم. وقد يكون من الحصافة الرد بصورة مقتضبة لا تثير الخصم، ولا تمنحه تعاطفا: كما جاء في سبب نزول قوله تعالى:{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} المجادلة:٨، فقد صح من رواية البخاري[1] وغيره عن عائشة – رضي الله عنها – أن أناسا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقال صلى الله عليه وسلم: وعليكم. قالت عائشة: وقلت: عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم..، فقال – عليه الصلاة والسلام –: يا عائشة: إن الله لا يجب الفاحش ولا المتفحش، فقلت: ألا تسمعهم يقولون: السام، فقال: يا عائشة أو ما سمعت أقول: وعليكم؟ فأنزل الله تعالى (وَإِذَا جَاءُوكَ ...) الآية. ومن الذكاء قول يوسف عليه السلام: {قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} يوسف:٥٠، فهذه الصيغة فيها من الذكاء والحصافة ما يدفع الملك إلى البحث عن الحقيقة من غير إضرار بيوسف ولا تضجر منه[2]، فتتم تبرئته وتظهر عظمته عند الملك.

ومن هذا الباب: حُسْن استغلال طاقات عموم الناس في الدفاع، وهذا مما يفيده قوله تعالى: {وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ}البقرة:٢٥١، وقوله:{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ} الحج:٤٠، فيمكن أن نلمح فيه إشارة إلى ضرورة استغلال طاقات الناس عموما في نصرة الحق والخير، سواء كانوا

---

١ - صحيح البخاري (٨/ ١٢) رقم: ٦٠٢٤.

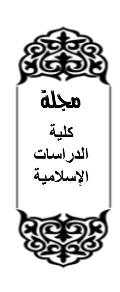
٢ - انظر: محاسن التأويل (٦/ ١٨٤) وغيره..

أخيارا أو أشرارا[1]، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى فطنة وحكمة. ومن الذكاء في المدافعة: التحيل في إثبات الحق، كما جاء عن إبراهيم عليه السلام حيث قال: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ} الأنبياء:٦٣، وهو بهذا يريد إقامة الحجة عليهم، والرد على افترائهم وضلالهم[2]. ومن هذا أيضا: الانسحاب من المواجهة عندما يكون العدو أو الخصم هو المسيطر، ولا يكون هناك مجال لتوضيح الحقيقة، كما في قصة يوسف عليه السلام، حيث دخل السجن ولم يستمر في المواجهة لأن المواجهة أصبحت تصادمية، وهو في موقف لا يسمح له بذلك، ولذلك:{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} يوسف:.٣٣

٥ـ الميزة الخامسة: التنويع في وسائل الدفاع، والبحث عن بدائل، وهذا ما نلاحظه في تنوع وسائل الأنبياء والرسل في الدفاع عن أنفسهم، وكل ذلك بتقدير الزمان والمكان والحال، وإذا لم تف وسيلة منها بالمطلوب فقد تقوم بذلك وسيلة أخرى. وهذا من مكامن القوة لدى الأنبياء والرسل، فقد كان لديهم من الحجج والسياسة في المدافعة ما يعجز أعداءَهم. ومن هذا الباب ما يشير إليه قوله تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ

١ ـ انظر: زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي. (٢/ ٩١٢) وغيره..

٢ ـ التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٦ هـ. (٢/ ٢٥)



الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }الحديد:٢٥، ففي الآية إشارة إلى وسائل متنوعة أعطاها الله لأنبيائه ورسله في إطار قيامهم بأعباء الرسالة والتمكين للشرائع[١].

٦- الميزة السادسة: الانضباط، وأريد به التصرف وِفق قواعد وأطر معينة[٢]، ومن مظاهر انضباط الأنبياء والرسل في دفاعهم عن أنفسهم: إرجاع الأمر والنهي إلى الله وحده، كما في قوله تعالى: {قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ} الأنعام:٥٧، وقوله: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي} الأعراف:٦٢، وقوله:{إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ} الشعراء:١١٣، ويؤكد ذلك بيان حدود الصلاحيات والقدرات، كما في قوله: {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ} الأنعام:٥٠، ومن مظاهره: الظهور بالقدرات البشرية المحدودة[٣]، والبعد عن الغرور والكبر والقدرات الخارقة، كما يبينه قوله تعالى:{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} إبراهيم:١١، ومن مظاهره أيضا: عدم تجاوز الصلاحيات، ويشهد لذلك قوله تعالى:{مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ}المائدة:١١٧، وقوله: {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}الأنعام:٥٠، فالرسل إنما هم عبيد لله ولا يتصرفون

١ - انظر: محاسن التأويل (٩/ ١٥٥)

٢ - بين العقيدة والقيادة، المؤلف: اللواء الرّكن محمود شيت خطابْ، الناشر: دار القلم - دمشق، الدار الشامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. (ص: ٦٣) ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٣٤٥)

٣ - انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ١١٧)



إلا بما أمرهم به[1]. ومن مظاهره أيضا: الاستسلام الكامل لله تعالى، والتجرد التام من أي سُلطة[2]، كما يتبين من توجيه الله لرسوله بقوله: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} الأعراف:١٨٨، وبقوله:{قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ}يونس:٤٩.

وهذا الانضباط لا ينفي قيام الأنبياء والرسل بجهود دفاعية إزاء العداوات التي تعرضوا لها، ولكنهم قاموا بذلك في إطار الحدود التي أمروا بها، وجاهدوا عدوهم جهادا خالصا لله، متجردا من كل الحظوظ الذاتية[3].

٧ـ الميزة السابعة: الاعتصام بالله والثقة به التوكل عليه، وهذا ما تؤكده كثير من الآيات والدلالات، فمن قول الرسل لأقوامهم: {وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} إبراهيم:١٢، وهذا الالتجاء إلى الله والركون إليه من أهم مميزات دفاع الأنبياء والرسل على أنفسهم، فذلك هو سِمةُ المؤمنين دائما وأبدا[4]، وهذا الميزة تتكامل مع ميزة "الانضباط" السابقة، فالانضباط فيه معنى الرُّشْد في التصرفات، والاعتصام والتوكل فيه معنى الالتجاء إلى الله ليهب ذلك الرشد وليهب الحفظ والمعونة[5]. وفي ذلك معنى كبيرا من معاني

---

١ - انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٤٩، ٣٦٠) وغيره.

٢ - انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٨٥)

٣ - انظر: تفسير المراغي (٢٨/ ٢٦)

٤ - انظر: تفسير الشعراوي (١٢/ ٧٤٥٨)

٥ - انظر: معالم التنزيل (٤/ ٣٣٩) وغيره





الدفاع والدَّفع، وقد بين الله أن التوكل يدفع كيد الشيطان وتسلطه[1]، في قوله:{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} النحل:٩٩. وقد جاء ذكر الاعتصام بالله والتوكل عليه على ألسنة الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، ليدل على أنه سلوك دائم لهم في كل أحوالهم، فتلك مسألة استراتيجية ـ بالنسبة لهم ـ، فهم لم يخصصوه بأحوال دفاعهم أعداءهم فحسب.

٨ـ الميزة الثامنة: فقه الدفاع، والحكمة في القيام به، ومن مظاهر ذلك : تحمل الضرر الأصغر اتقاء للضرر الأكبر، كما يشير له قوله تعالى:{وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام:١٠٨، ومن ذلك : التلطف أحيانا في مدافعة العدو رعاية للمقاصد العليا للرسالة[2]. ومنه: القيام بالدفاع الإيجابي والتصريح بالسوء عن الخصم، كما يتبين من قول يوسف عليه السلام: {قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي} يوسف:٢٦، فلا مجال للسكوت في ذلك الموقف، في حين آثر السكوت في مواطن أخرى واستسلم للسجن وهو مظلوم، وفي قصة يوسف عليه السلام كثيرا من الموازنات التي استخدمها يوسف عليه السلام في دفاعه عن نفسه. ومن ذلك: التحرك بقدر الاستطاعة وبقدر الإمكانات المتاحة، كما يفيده موقف هارون مع قومه، المذكور في قوله تعالى:{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي}إلى قوله: {قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} طه:٩٠ـ ٩٤،

---

١ ـ انظر: التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٥/ ٧٨٠)

٢ ـ انظر: تفسير الشعراوي (٦/ ٣٨٥٨، ٣٨٥٩) وغيره..

فيمكن إدراك أن هارون عليه السلام خشي أن يقوم بشيء تكون مآلاته أعظم ضررا مما قام به القوم، فعمل بما توصل إليه اجتهاده[1]، وقد اختلف موسى وهارون في تقدير الضرر الأعظم والضرر الأقل، وكان رأي موسى هو الأرجح، ومع ذلك فقد قبل موسى من هارون اعتذاره، لأنه قد قام بما أمكنه[2]. ومن فقه المواجهة هنا: الاستفادة من الحوادث المماثلة السابقة، ففي ذلك تحذير وتخويف من مآلات العداء، كما في قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } فصلت:.١٣

٩ـ الميزة التاسعة: التعامل الأخلاقي الراقي في دفاعهم ضد أعدائهم، فقد اتسم دفاع الأنبياء والرسل برعاية الأخلاق، وذلك لأنهم إنما جاءوا لإرساء مبادئ الحق والخير والعدل، كما يبين ذلك قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} الحديد:٢٥، ويأتي ذلك أيضا في إطار ما يدعو إليه قوله تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ} المائدة:٨، وقوله:{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} النحل:٩٠، فالأنبياء والرسل أعظم الناس التزاما بما يدعون إليه، في تعاملهم مع أتباعهم وخصومهم.. وقد كان دفاعهم بالحسنى، والبيان القائم على الحجة والمنطق، من غير تجن على أحد، ولم يكن لصبرهم حدود.

١٠ـ الميزة العاشرة: السياسة الدفاعية المخططة، فلم يكن دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم عشوائيا، أو ارتجاليا، وإنما يظهر منه التخطيط واتخاذ سياسة منهجية واضحة، ومن المظاهر التي يمكن أن نلمسها في دفاعهم: معرفة منطلقات الأعداء والخصوم، كما يوحي به قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى

١ ـ انظر: التفسير الوسيط ـ مجمع البحوث (٦/ ١٠٥٨)

٢ ـ انظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٢٩٣)

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ }غافر:٦٩، وقوله:{أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ }الحشر١١، وقوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم} المجادلة١٤، وقوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }المجادلة٨، وغيرها، ففي مثل هذه الآيات بيان لجوانب من خلفيات الأعداء والعداوات، لتتم المواجهة بما يناسب الموقف والخصم، وكثير من اسباب النزول يوحي بمثل ما ذكرته هنا[١].

ومن مظاهر انتهاج الأنبياء والرسل سياسة دفاعية واضحة: تجميع الأنصار، كما جاء عن عيسى عليه السلام: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ}آل عمران:٥٢، وهو توجه إلى البحث عن أهل الاستعداد الذين ينصرونه في دعوته[٢]، وهذا تطور في الدفاع ينبئ عن عمل مخطط ينتقل يراعي المتغيرات في الواقع. ومثل هذا: صدور التحدي من بعض الأنبياء والرسل في بعض المراحل، فلم يكن موقفهم الدفاعي على حالة واحدة. وإظهار الخشونة في القول أحيانا، كما في قول موسى لفرعون: {وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً } الإسراء:١٠٢، وهذا لما تيقن من عناده وجحوده[٣]، مع أنه مأمور بإلانة القول له، كما في قوله: {فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً}طه:٤٤.

---

١ ـ انظر: مثلا تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٧٣)

٢ ـ تفسير المنار (٣/ ٢٥٨)

٣ ـ انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٤٤٥)



ومن هذا الباب أيضا: ما يمكن أن نطلق عليه: توظيف الطاقات في الدفاع، كما كان حسان بن ثابت ينافح بشعره، وغيره بسيفه، وآخرون كل بما يحسنه.

ومن هذا أيضا: إبقاء مجال للتقارب مع الخصوم، لأن الدعوة والهداية هي المقصد الأول والأهم والأعظم، ويشهد لهذا قوله تعالى على لسان بعض رسله: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} سبأ:٢٤، فالمراد بها استمالة الكفار المعاندين لاستماع حجج القرآن[١]، وإلا فإن اهتداء الأنبياء قطعي لا مجال فيه للشك.

وأحيان وصل الحال أن يلعن الأنبياء أعداءهم، ولكن ذلك في بعض الأحوال المقتضية لذلك، كما يوضحه قوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} المائدة:٧٨، وهذا في حال المبالغة في التعدي والفجور[٢].

ولهذا الميزة مظاهر كثيرة، ولا نريد التوسع فيها أكثر من هذا، ولكن نشير هنا إلى أنه يمكن أن نلمح في السياسة الدفاعية للأنبياء والرسل: الثوابت والمتغيرات التي اقتضتها السياسة الدفاعية عن أنفسهم، فهناك جوانب ثابتة، مثل: الحوار والبيان وإقامة الحجة..، وهناك جوانب متغيرة بحسب مقتضى الحال، كالشدة والغلظة وإظهار عيوب العدو ومثالبه... وتقدير ذلك خاضع لسياسة مخططة غير مرتجلة.

والله أعلم

١ - تفسير المنار (١٠/ ٣٩٥)

٢ - انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٤/ ٢٤٩)

الخاتمة

وفيها: النتائج والتوصيات

أولا: النتائج: ومن خلال البحث ظهرت لي النتائج التالية في إطار الأهداف التي ذكرتها في أوله:

١ مشروعية دفاع الأنبياء والرسل –ومن بعدهم– عن أنفسهم ودعوتهم بالتي هي أحسن .

٢. ما يشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أوحي إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه، وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح ؛ لأن قوله تعالى {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي} الآية الحج: ٥٢، يدل على أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير.

٣. قيام الأنبياء والرسل بالتصدي للاعتداءات والأذى والاتهامات، التي تقع عليهم وعلى دعوتهم ودينهم من خصومهم وأعدائهم، والاجتهاد في إزالة ذلك وإبعاده عن أنفسهم ودعوتهم، بما يقدرون عليه من وسائل مشروعة، واجب قد تختلف مراتبه، والدفاع يأتي في إطار السنن الكونية الربانية التي تورث البناء السليم والقوي للأرض والحياة، كما هو لحفظ ركائز الدين، ولِكفِّ الظلم والعصيان والاعتداء.

٤. الدفاع يكون عن طريق عباد الله الصالحين، من الأنبياء والمؤمنين، ومن هنا فقد قيل: إن الله بعد أن أنزل التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بقتال المشركين ومدافعتهم، ولا تتدخل قدرة الله إلا عندما تنتهي إمكانات الأنبياء والرسل ويصير العدوان والإجرام لا مقاوم له من البشر.




٥ العداء للأنبياء والرسل فيه جوانب نفسية قلبية وجوانب عملية.

٦. معاداة الأنبياء والرسل سنة ثابتة دائمة، وكل صاحب دعوة سماوية جعل الله له عدواً من المجرمين، من باب الابتلاء والتمحيص..

٧. دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، هو جزء من الاستراتيجية العامة للدعوة والرسالة.

٨. معاداة الأنبياء والرسل مرجعها ديني، ولذلك فقد برز العداء لهم بعد النبوة والرسالة، مما يدل على أن العداء ليس شخصيا ولا من أجل التصرفات الشخصية أو الفطرية.

٩ تتنوع وسائل دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، والضابط في ذلك: عدم مخالفة ما شرعه الله، وقد يظهر الدفاع بطريقة عكسية، كالانسحاب والفرار... وذلك وِفق تقدير الموقف.

١٠- الجانب الروحي يمثل ركيزة أساسية في دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم.

١١. تتفاوت معاداة الأنبياء والرسل، ويمثل الزمان والمكان عوامل مهمة في ذلك، وتبدأ العداوة بالإيذاء الشخصي، وقد تصل إلى القتل أو الحرب الشاملة.

١٢. من ثمار الدفاع هنا: تهيئة الأنبياء والرسل، لمواكبة الأحداث والقيام بواجبات الرسالة في ابطال الباطل واحقاق الحق، وابقاء جذوة الحماس في النفوس، فلا يصيبهم يأس ولا إحباط..

١٣. من المعالم الثابتة في دفاع الأنبياء عن أنفسهم: السلمية، والعِلمية، والعقلانية، والحوار، والمبدئية، والمصداقية.

١٤. قد يصيب الأنبياء والرسل ابتلاءات كبيرة جدا، وذلك لا ينافي العصمة.



١٥. التخطيط ميزة بارزة في دفاع الأنبياء والرسل عن أنفسهم، فلم تكن تصرفاتهم في ذلك ارتجالية ولا ردود أفعال.

١٦ـ من طبيعة العداء مع الأنبياء والرسل أنه كان يبدأ في الجوانب الشخصية ثم يتطور إلى العداء للرسالة والدعوة..

١٧ـ الشبه الشخصية يكون الرد عليها أسهل من الرد على الشبه التي حول الرسالة والدعوة، فالواقع والممارسة يدحض كثيرا من الشبه الشخصية، بخلاف الشبه حول الرسالة فإنها تحتاج إلى حجج وبراهين وجهداً أكبر.

ـ ثانيا: التوصيات

وإذا كان هناك من توصية في نهاية هذا البحث، فهي التوصية للباحثين بالآتي:

١- الاهتمام بالبحث في الجوانب المنهجية من المواضيع القرآنية، فذلك الجانب لا نزال بحاجة ماسة إليه في حياتنا، لنهتدي بهدي القرآن الكريم في أمورنا كلها.

٢- توجيه الاهتمام بالدراسات القرآنية وما يتواءم ومتطلبات كل زمن وأحداثه .

٣- دراسة دفاع الأنبياء عن أنفسهم ودعواتهم – كلٌ على حدةٍ- .

٤- إبراز حماية الله لأنبيائه ورسله -عليهم الصلاة والسلام- وحملة شريعته ونصره لهم ودعوتهم .

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



المصادر والمراجع

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ..

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

- أصول الإيمان، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان،١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

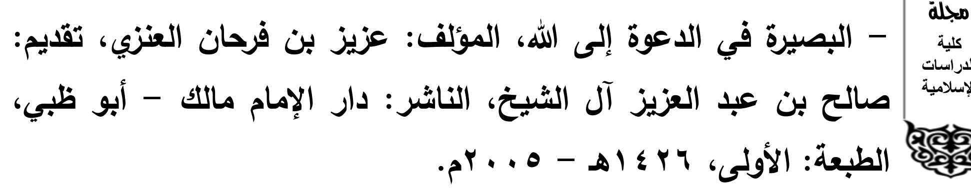
- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، المحقق: سالم بن محمد القرني، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد

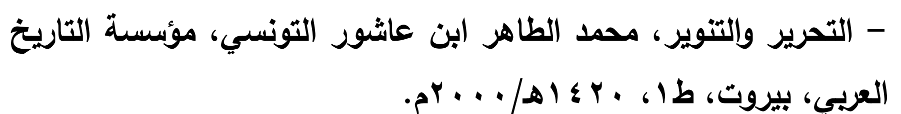


الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

– البصيرة في الدعوة إلى الله، المؤلف: عزيز بن فرحان العنزي، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الناشر: دار الإمام مالك – أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.



– التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.



– التدرج في دعوة النبي، المؤلف: إبراهيم بن عبد الله المطلق، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

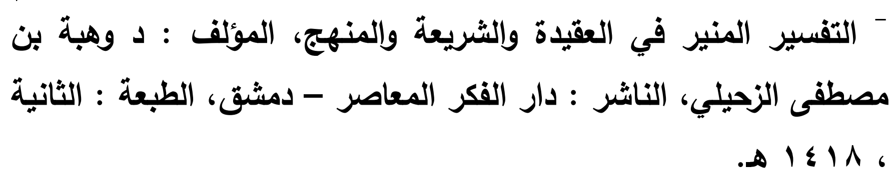
– التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

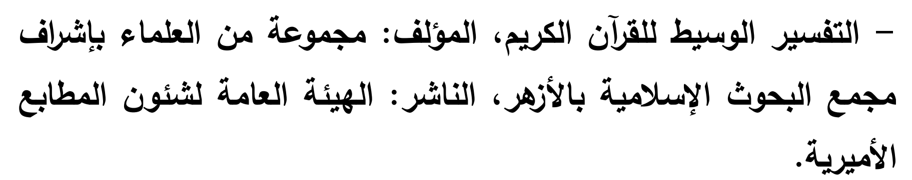
– التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

– التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

– التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.




- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.


- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة)، المؤلف: يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الناشر: صوت القلم العربي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي



(المتوفى: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).

- الفتاوى الفقهية الكبرى، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)ن، جمعها: تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي (التوفى ٩٨٢ هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية.

- القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: دار الريان للتراث.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

- المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري ، شرح البخاري،، المؤلف: شمس الدين محمد



بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

- المستدرك على الصحيحين للحاكم ، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول، تركيا.

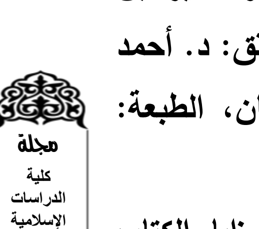
- المنقذ من الضلالالمؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود، الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر.

- النبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان،



الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، المؤلف: أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- أوضح التفاسير، المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤م.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار
- بين العقيدة والقيادة، المؤلف: اللواء الرّكن محمود شيت خطابْ، الناشر: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ت.





– تحبير التيسير في القراءات العشر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، الناشر: دار الفرقان – الأردن / عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

– تفسير أبي السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.

– تفسير الشعراوي(الخواطر)،محمد متولي الشعراوي (المتوفى : ١٤١٨هـ) نشر عام ١٩٩٧ م.

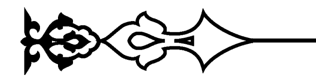
– تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ط٣/ ١٩٨٩م، دار المعرفة بيروت، لبنان.

– تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

– تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

– تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

– تفسير المنار ، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠ م.



– توفيق الرحمن في دروس القرآن، المؤلف: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.



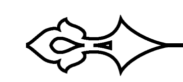
– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

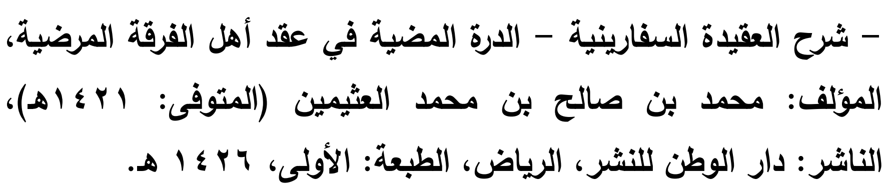
– حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت.

– حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

– دستور الأخلاق في القرآن، المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

– زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي.

- زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

- شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ).

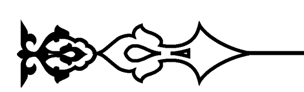
- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة، المؤلف: عبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ).

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ).

- لا تحزن، المؤلف: عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان.

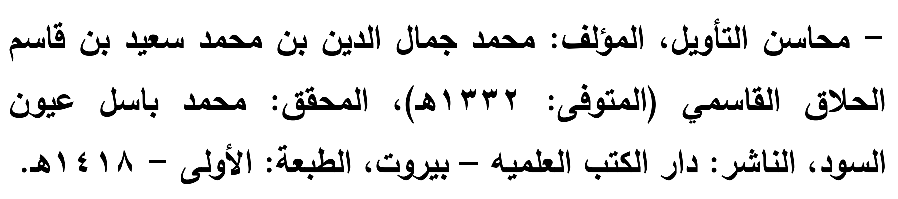
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

- مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.





- مجموعة الرسائل والمسائل، المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، علق عليه : السيد محمد رشيد رضا.



- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، المؤلف: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

- معاني القراءات للأزهري، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م.

- معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق:



الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

– معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

– معجم لغة الفقهاء، المؤلف: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

– معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة.

– معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون.

– مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة : ١٤٢٠ هـ.

– مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار العلم والدار الشامية، دمشق ـ بيروت، ١٤١٢ هـ، ت : صفوان عدنان داودي.

– منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إعداد: أحمد بن علي الزاملي عسيري، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين – جامعة



الإمام محمد بن سعود، الإسلامية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٣١ هـ.

- موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، المؤلف: ياسر عبد الرحمن، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

- موسوعة فقه القلوب، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية.

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

